الفصل الثاني عشر

ثبوت بطلان دعوى اتفاق السنة مع الشيعة في تأويل قوله تعالى "الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ" بأنه خاص بولاية سيدنا علي

نقلت في الفصل السابق قول مركز الأبحاث العقائدية، المركز المتخصص في نشر عقائد الشيعة الإثني عشرية، وهو من مراكز المرجع الشيعي المشهور آية الله السيد علي السيستاني، نقلت قوله: "لا عليك أن ترى تقدّم آية ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ على آية ﴿ يا أيّها الرسول بّلغ ما أنزل إليك ﴾ فإن روايات السنة والشيعة كلها متفقة على نزولهما في تبليغ ولاية علي عليه السلام".

وقلت في الفصل السابق: إن ما يشكك في صدق أي مذهب أو فكرة هو أن يحتج لها أصحابها بغير الصدق، وبأمر غير قائم وغير موجود، ويسمى هذا في البحث العلمي الأكاديمي بغياب الأمانة العلمية، وبالكذب والتدليس، إذا كانت الفكرة صحيحة وصادقة، فإن صاحبها لن يحتاج لغير الصدق والأمانة، فإذا تجاوزهما إلى الكذب والتدليس، فإن ذلك من أكبر الأدلة على بطلان ما يدعو إليه.

وقد بينت في الفصل السابق أن قول المركز مخالف للواقع بشأن آية "يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك". وقدمت الأدلة القاطعة على أن أشهر التفاسير المعتمدة عند أهل السنة لا تشير في تفسير هذه الآية لولاية سيدنا علي لا من قريب ولا من بعيد.

وفي هذا الفصل، أنقل للقراء ما جاء في أشهر تفاسير أهل السنة بخصوص قوله تعالى في الآية الثالثة من سورة المائدة ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾، أعني تفاسير الطبري والقرطبي وابن كثير.

فإذا وجدناها كلها تفسر الآية بأنها نزلت بعد نزول الأمر للنبي ﷺ بتبليغ الناس بخبر ولاية سيدنا علي رضي الله عنه، يكون مركز الأبحاث العقائدية صادقا موثوقا ومعتمدا.

وإذا وجدنا غير ذلك، تركت الأمر للناس ليستخلصوا النتيجة المناسبة.

تفسير الطبري لآية "اليوم أكملت لكم دينكم"

ذكر الطبري في تفسيره عدة روايات تتصل بقوله تعالى ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ ليس في واحدة منها إشارة من قريب او من بعيد لما يذكره علماء الشيعة عن ولاية سيدنا علي رضي الله عنه.

قال الطبري في بداية تفسيره لهذه الآية: "قال بعضهم: يعني

جل ثناؤه بقوله: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾، اليوم أكملت لكم، أيها المؤمنون، فرائضي عليكم وحدودي، وأمري إياكم ونهيي، وحلالي وحرامي، وتنزيلي من ذلك ما أنزلت منه في كتابي، وتبياني ما بيَّنت لكم منه بوحيي على لسان رسولي، والأدلة التي نصبتُها لكم على جميع ما بكم الحاجة إليه من أمر دينكم، فأتممت لكم جميع ذلك، فلا زيادة فيه بعد هذا اليوم. قالوا: وكان ذلك في يوم عرفة، عام حجَّ النبي ﷺ حجة الوَدَاع. وقالوا: لم ينزل على النبي ﷺ بعد هذه الآية شيء من الفرائض، ولا تحليل شيء ولا تحريمه، وأن النبي ﷺ لم يعش بعد نزول هذه الآية إلا إحدى وثمانين ليلة".

وأضاف الطبري: "ذِكرُ من قال ذلك:

- حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله قال، حدثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس قوله: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾، وهو الإسلام. قال: أخبر الله نبيَّه ﷺ والمؤمنين أنه قد أكمل لهم الإيمان، فلا يحتاجون إلى زيادة أبدًا، وقد أتمه الله عز ذكره فلا ينقصه أبدًا، وقد رضيه الله فلا يَسْخَطه أبدًا.

- حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط، عن السدي قوله: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾، هذا نزل يوم عرفة، فلم ينزل بعدها حلال ولا حرام. ورجع رسول الله ﷺ فمات. فقالت أسماء بنت عُمَيس: حججت مع رسول الله ﷺ تلك الحجة، فبينما نحن نسير، إذ تجلّى له جبريل ﷺ على الرَّاحلة، فلم

تطق الراحلة من ثِقَل ما عليها من القرآن، فبركت، فأتيته فسجَّيت عليه برداء كان علَيَّ.

- حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج قال: مكث النبي ﷺ بعد ما نزلت هذه الآية، إحدى وثمانين ليلة، قوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾.

- حدثنا سفيان قال، حدثنا ابن فضيل، عن هارون بن عنترة، عن أبيه قال: لما نزلت: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، وذلك يوم الحج الأكبر، بكى عمر، فقال له النبي ﷺ: ما يبكيك؟ قال: أبكاني أنّا كنا في زيادة من ديننا، فأما إذ كمل، فإنه لم يكمل شيء إلا نقص! فقال: صدقت.

- حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أحمد بن بشير، عن هارون بن أبي وكيع، عن أبيه، فذكر نحو ذلك.

وذكر الطبري تفسيرا آخر قريبا في المعنى من التفسير الأول نصه: "وقال آخرون: معنى ذلك: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، حجكم، فأفردتم بالبلد الحرام تحُجُّونه، أنتم أيها المؤمنون، دون المشركين، لا يخالطكم في حَجِّكم مشرك".

وبعد أن عرض روايات يستدل بها أصحاب هذا القول، قال في ختام الفقرة التي خصصها لتفسير هذه الآية: "قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في وقت نزول الآية، القولُ الذي روي عن عمر بن الخطاب: أنها نزلت يوم عرفة يوم جمعة، لصحة سنده، وَوَهْيِ أسانيد غيره".

أقول: وبذلك يتبين أن الطبري لم يشر في تفسير هذه الآية لولاية سيدنا علي لا من قريب ولا من بعيد، على خلاف ما زعمه مركز الأبحاث العقائدية.

تفسير القرطبي لآية "اليوم أكملت لكم دينكم"

قرأت تفسير القرطبي للآية الثالثة من سورة المائدة فلم أجد عنده إشارة واحدة، لا من قريب ولا من بعيد، لما يذكره علماء الشيعة عن ولاية سيدنا علي رضي الله عنه.

قال القرطبي:

"قوله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ وذلك أن النبي ﷺ حين كان بمكة لم تكن إلا فريضة الصلاة وحدها، فلما قدم المدينة أنزل الله الحلال والحرام إلى أن حج، فلما حج وكمل الدين نزلت هذه الآية: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ الآية، على ما نبينه.

روى الأئمة عن طارق بن شهاب قال: جاء رجل من اليهود إلى عمر فقال: يا أمير المؤمنين آية في كتابكم تقرءونها لو علينا أنزلت معشر اليهود لاتخذنا ذلك اليوم عيدا، قال: وأي آية ؟ قال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ فقال عمر: إني لأعلم اليوم الذي أنزلت فيه والمكان الذي أنزلت فيه، نزلت على رسول الله ﷺ بعرفة في يوم جمعة. لفظ مسلم. وعند النسائي ليلة جمعة.

وروى أنها لما نزلت في يوم الحج الأكبر وقرأها رسول الله ﷺ بكى

عمر، فقال له رسول الله ﷺ: ما يبكيك؟ فقال: أبكاني أنا كنا في زيادة من ديننا فأما إذ كمل فإنه لم يكمل شئ إلا نقص. فقال له النبي صلي الله عليه وسلم: صدقت. وروى مجاهد أن هذه الآية نزلت يوم فتح مكة.

قلت (مازال الحديث للقرطبي): القول الأول أصح، أنها نزلت في يوم جمعة وكان يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع سنة عشر ورسول الله ﷺ واقف بعرفة على ناقته العضباء ، فكاد عضد الناقة ينقد من ثقلها فبركت.

و"اليوم" قد يعبر بجزء منه عن جميعه، وكذلك عن الشهر ببعضه، تقول: فعلنا في شهر كذا كذا وفي سنة كذا كذا، ومعلوم أنك لم تستوعب الشهر ولا السنة، وذلك مستعمل في لسان العرب والعجم.

والدين عبارة عن الشرائع التي شرع وفتح لنا، فإنها نزلت نجوما وآخر ما نزل منها هذه الآية، ولم ينزل بعدها حكم، قاله ابن عباس والسدي.

وقال الجمهور: المراد معظم الفرائض والتحليل والتحريم. (انتهى النقل. المصدر في شبكة الإنترنت:

http://islamport.com/w/tfs/Web/11792172/.html

تفسير ابن كثير لآية "اليوم أكملت لكم دينكم"

ثم بحثت في تفسير ابن كثير للآية الثالثة من سورة المائدة، فلم

أجد عنده أيضا إشارة واحدة، لا من قريب ولا من بعيد، لما يذكره علماء الشيعة عن ولاية سيدنا علي ﷺ.

قال ابن كثير:

"وقوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ هذه أكبر نعم الله، عز وجل، على هذه الأمة حيث أكمل تعالى لهم دينهم، فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبي غير نبيهم، صلوات الله وسلامه عليه؛ ولهذا جعله الله خاتم الأنبياء، وبعثه إلى الإنس والجن، فلا حلال إلا ما أحله، ولا حرام إلا ما حرمه، ولا دين إلا ما شرعه، وكل شيء أخبر به فهو حق وصدق لا كذب فيه ولا خُلْف، كما قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ (الأنعام : ١١٥) أي: صدقاً في الأخبار، وعدلاً في الأوامر والنواهي، فلما أكمل الدين لهم تمت النعمة عليهم ؛

ولهذا قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ أي: فارضوه أنتم لأنفسكم، فإنه الدين الذي رضيه الله وأحبه وبعث به أفضل رسله الكرام، وأنزل به أشرف كتبه.

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: "ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ" وهو الإسلام، أخبر الله نبيه ﷺ والمؤمنين أنه قد أكمل لهم الإيمان، فلا يحتاجون إلى زيادة أبداً، وقد أتمه الله فلا ينقصه أبداً، وقد رضيه الله فلا يَسْخَطُه أبداً.

وقال أسباط عن السدي: نزلت هذه الآية يوم عَرَفَة، فلم ينزل بعدها حلال ولا حرام، ورجع رسول الله ﷺ فمات. قالت أسماء بنت عُمَيس: حَجَجْتُ مع رسول الله ﷺ تلك الحجة، فبينما نحن نسير إذ تَجلَّى له جبريل، فمال رسول الله ﷺ على الراحلة، فلم تطق الراحلة من ثقل ما عليها من القرآن، فبركت فأتيته فَسَجَّيْتُ عليه بُرْداً كان علَيَّ.

قال ابن جُرَيْج وغير واحد: مات رسول الله ﷺ بعد يوم عرفة بأحد وثمانين يوما.

رواهما ابن جرير، ثم قال: حدثنا سفيان بن وَكِيع، حدثنا ابن فُضَيْل، عن هارون بن عنترة، عن أبيه قال: لما نزلت ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ وذلك يوم الحج الأكبر، بكى عمر، فقال له النبي ﷺ : "ما يبكيك؟" قال: أبكاني أنّا كنا في زيادة من ديننا، فأما إذْ أكمل فإنه لم يكمل شيء إلا نقص. فقال: "صدقت".

ابن كثير يرد على التفسير الشيعي للآية

وَقَدْ رَوَى ابْن مَرْدُوَيْه مِنْ طَرِيق أَبِي هَارُون الْعَبْدِيّ عَنْ أَبِي سَعِيد الْخُدْرِيّ أَنَّهَا نَزَلَتْ عَلَى رَسُول اللَّه ﷺ يَوْم غَدِير خُمٍّ حِينَ قَالَ لِعَلِيٍّ " مَنْ كُنْت مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ " ثُمَّ رَوَاهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَة وَفِيهِ أَنَّهُ الْيَوْم الثَّامِن عَشَرَ مِنْ ذِي الْحِجَّة يَعْنِي مَرْجِعه - عَلَيْهِ السَّلَام - مِنْ حَجَّة الْوَدَاع.

وَلَا يَصِحّ لَا هَذَا وَلَا هَذَا بَلْ الصَّوَاب الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ وَلَا مِرْيَة أَنَّهَا أُنْزِلَتْ يَوْم عَرَفَة وَكَانَ يَوْم جُمُعَة كَمَا رُوِيَ ذَلِكَ عن أَمِير الْمُؤْمِنِينَ عُمَر ابْن الْخَطَّاب وَعَلِيّ بْن أَبِي طَالِب وَأَوَّل مُلُوك الْإِسْلَام مُعَاوِيَة بْن أَبِي سُفْيَان وَتُرْجُمَانُ الْقُرْآن عَبْد اللَّه بْن عَبَّاس وَسَمُرَة بْن جُنْدَب رَضِيَ اللَّه عَنْهُ وَأَرْسَلَهُ الشَّعْبِيّ وَقَتَادَة بْن دِعَامَة وَشَهْر بْن حَوْشَب وَغَيْر وَاحِد مِنْ الْأَئِمَّة وَالْعُلَمَاء وَاخْتَارَهُ ابْن جَرِير الطَّبَرِيّ رَحِمَهُ اللَّه.

الخلاصة من النظر في هذه التفاسير وما تضمنته من روايات

بعد البحث فيما كتبه أشهر المفسرين عند أهل السنة، الطبري والقرطبي وابن كثير، عما جاء في قوله تعالى في الآية الثالثة من سورة المائدة: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾، وبعد الاطلاع على الأحاديث النبوية والأخبار التي استدلوا بها في تفسيرهم للآية، ومن ضمنها روايات أخرجها البخاري ومسلم في صحيحيهما، وروايات في كتب الحديث الأخرى، يتبين بشكل قاطع أنها مخالفة لما يقول به جمهور علماء الشيعة من كونها نزلت في ولاية سيدنا علي ﷺ، وقد تقدم رد ابن كثير على هذا التأويل.

وبناء عليه، يتبين عدم صحة ما قال به مركز الأبحاث العقائدية، مركز آية الله السيد علي السيستاني المتخصص في شرح عقائد الشيعة الإثني عشرية، ونصه: "لا عليك أن ترى تقدّم آية ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ على آية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ فإن روايات السنة والشيعة كلها متفقة على نزولهما في تبليغ ولاية علي (عليه السلام)".

أين هذا الاتفاق المزعوم يا أهل الحق والإنصاف؟ وكيف يقبل منصف على نفسه أن يزعم هذا الزعم الباطل وبين يديه كل هذه النصوص والروايات المتاحة لكل باحث دون كثير عناء؟

والسؤال الذي يفرض نفسه هنا: ما الذي جعل مركز الأبحاث العقائدية يزعم أن " روايات السنة والشيعة كلها متفقة على نزولهما في تبليغ ولاية علي عليه السلام"؟ ولاحظوا كلمة "كلها" بعد كلمة الشيعة، مما يوحي بأن المركز يعلن حكمه عن ثقة مطلقة ودراسة موثقة معتمدة لتفاسير أهل السنة!

والحال كما بينا أن أشهر روايات أهل السنة، الواردة عند أشهر مفسريهم، وأشهر جامعي الحديث النبوي عندهم، لم تشر لهذا المعنى لا من قريب ولا من بعيد، واكتفى ابن كثير بإيراده ليبطله وينقضه.

أترك للقراء الكرام استخلاص النتائج المنطقية واختيار الوصف المناسب لما قام به مركز الأبحاث العقائدية!!

نصيحة مكررة

أما أنا فأكرر ما قلته في الفصل السابق:

أنصح نفسي، وكل باحث علمي، وأنصح دعاة الدين وعلماء المذاهب، بتجنب الكذب والتدليس عند الدفاع عن أديانهم ومذاهبهم وأفكارهم، وأنصح الجميع باحترام مبادئ الأمانة العلمية.

وأقول: لاشك أن الكذب والتدليس والإخلال بمبادئ الأمانة العلمية سلوك لا ينسجم مع تعاليم الأديان كلها، وتعاليم أهل البيت رضي الله عنهم.

ومن يقع في مثل هذه الممارسات المخلة بالأمانة العلمية لا يمكن الوثوق به في أي أطروحة أخرى يدافع عنها، ولو كان شاهدا في محكمة مدنية عادية، في إيران أو في أوروبا، لسقطت عدالته وشطب اسمه تماما من لائحة الشهود.

وأقول: إن من يحاول إقحام أمر في الدين، هو ليس في أصله من الدين، يضطر للحيلة والتدليس والتخلي عن مبادئ الأمانة العلمية ونشر أخبار ونقول غير صحيحة، ولعله عندما ينشرها يقول لنفسه: دعني أنشر هذه الآراء والأقوال، وسيصدقها كثير من الناس، إذ كم من القراء من سيكلف نفسه عناء الرجوع إلى المصادر للتدقيق في صحة هذه الأقوال أو بطلانها؟

وهذا نهج سيء. وهو نهج مسيء لأصحابه وللبحث العلمي، وإذا صنع عالم أو باحث مثل هذا الصنيع، وكذب ودلس بنية الدفاع عن أهل البيت ﷺ فإنه في الواقع يسيء إساءة بالغة لأهل البيت الذين ينشر هذا الكذب وهذا التدليس دفاعاً عنهم.

مقام أهل البيت رفيع بأدلة الصدق، وليس بالكذب والتدليس. وقد أمرنا بالصلاة والسلام عليهم في كل صلاة. فما الذي يحوج محباً صادقاً لهم للكذب من أجلهم؟

أكرر هنا: إن من يحاول إقحام أمر في الدين، هو ليس في أصله من الدين، يضطر للحيلة والتدليس والتخلي عن مبادئ الأمانة العلمية ونشر أخبار ونقول غير صحيحة. ومن استبدت بعقله الحماسة الطائفية، والمصالح السياسية، أساء لنفسه ودعوته ولمبادئ الأمانة العلمية.